جهود عبدالقاهر الجرجاني في ميزان النقد المعاصر

د. عمر بن عبدالعزيز المحمود[1]

المستخلص: تسعىٰ هذه الدراسة إلىٰ الكشف عن الرؤىٰ النقدية لمجموعة مختارة من أبرز النقاد المعاصرين الذين توقفوا عند جهود عبدالقاهر في كتابيه الشهيرين، وتوفَّر لهم النظر فيها واستيعابها، وأشاروا إلىٰ قيمتها وأثرها، في محاولة لعرضها وتفسيرها وتقويمها، ودراستها دراسة نقدية تحليلية. وكان من أهم أهدافها: الكشف عن أهم الجهود البلاغية والنقدية التي بذلها عبدالقاهر، وجمع مواقف أهم النقاد المعاصرين ولملمة آرائهم المتناثرة في إنتاجهم الأدبي والنقدي حول هذه الجهود، وعرضها في دراسة واحدة، وتسليط الضوء علىٰ آراء أبرز النقاد المعاصرين في جهود عبدالقاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ودراستها وتحليلها والتعليق عليها وتقديم رؤية نقدية حولها. وكان المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج الاستقرائي الذي يحاول أن يتتبع رأي الناقد بجميع زواياه، ويسعىٰ إلىٰ استقراء كل موقف له في كتابه، كما اتبعتْ الدراسة المنهج التحليلي الذي يعرض هذه المواقف والآراء، ويحاول أن يفحصها ويفسرها ويحللها ويعلق عليها. وكان من أهم النتائج: مبالغة طه حسين في غير موضع في تأكيد شدة تأثر عبدالقاهر بأرسطو وبالثقافة اليونانية، رغم اعترافه بأنه مَن رفع قواعد البيان العربي وأحكم بناءه، ومنها الكشف عن العناية الخاصة التي أولاها محمد مندور بالمنهج الذي اهتدىٰ من خلاله عبدالقاهر إلىٰ نظرية النظم، وهو منهج النقد اللغوي. ومن النتائج أيضا ما توصلت إليه الدراسة من أنَّ محمد غنيمي هلال يرىٰ أنَّ عبدالقاهر لم يقر مَن رجحوا المعنىٰ علىٰ اللفظ، بل كان من أنصار الصياغة من حيث دلالتها علىٰ جلاء الصورة الأدبية، وأنَّ عبدالقاهر يقف في تقويم الصورة الأدبية عند حدود الجمال المحض دون قصد شرف المعنىٰ ذاته. ومن أبرز التوصيات: ضرورة الاهتمام بآراء النقاد في الجهود التي قدَّمها عبدالقاهر في مجال البلاغة والنقد، كما توصي الدراسة بأهمية مراجعة حجم التأثر الذي أفاده النقد العربي من اليوناني، وعدم الانجراف وراء مَن يبالغ في هذا التأثر.

الكلمات المفتاحية: جهود، النقد، عبدالقاهر، الجرجاني، ميزان، المعاصر.

***

(١) الأستاذ المشارك بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البريد الإلكتروني: omar1401@gmail.com

The Efforts of Abdul Qahir Al-Jurjani in The Scale of Contemporary Criticism

Dr. Umar Bin Abdul Aziz Al-Mahmoud

Abstract: This study seeks to uncover the theories of criticism by the most important few contemporary critics who studied and greatly comprehended the work of Abdul Qahir in his two famous books. They also pointed to the value and impact of these books in an attempt to present, interpret, evaluate, and study them analytically and critically.

One of its most important objectives: is to reveal the most prominent rhetorical and critical efforts by Abdul Qahir, to compile the different stances of the most prominent contemporary critics as well as their views (that are scattered within their literary production) on these efforts, to present them all in one study, to highlight the views of of the most prominent contemporary critics on the efforts of Abdul Qahir in his two books (Dala'il Al-I'ijaz) and (Asrar Al-Balaghah), and to study, analyse, comment, and provide a critical view around the same.

The approach used in this study is the inductive method that tries to trace all the angles of the view of any given critic, and seeks to extrapolate all the positions in his book. The study also uses the analytical approach that presents these incidents and views, and provides them with an/a examination, explanation, analysis, and commentary.

The most important results: the exaggeration of Taha Hussain in more than one place regarding the strong effect of Aristotle and the Greek culture on Abdul Qahir, disputed his recognition that Abdul Qahir is the one who established the rules of Arabic prose and its construction. Another result is revealing the special attention given by Muhammad Mandoor to the methodology used by Abdul Qahir in discovering the theory of writing, and it is the methodology of linguistic criticism.

Also, one of the findings of this study is that Muhammad Ghunaimy Hilal believes that Abdul Qahir did not approve those who prefer meaning over wording, but rather he was a proponent of wording in terms of its significance in the clarity of the literary image. Further, Abdul Qahir stands at the limits of beauty when evaluating a literary image without regarding the meaning per se.

Amongst the most important recommendations: the importance of taking interest in the views of the critics regarding the effort made by Abdul Qahir in the fields of rhetoric and criticism. The study also recommends the importance of revising the extent of the effect Greek criticism had on Arabic criticism, and not to follow those to exaggerate the impact.

Key words: effort - criticism - Abdul Qahir - Al-Jurjani - scale - contemporary.

❋ ❋ ❋

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فلقد كان لعبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) جهودٌ عظيمةٌ في البلاغة والنقد الأدبي، فهو من أوائل النقاد العرب الذين أقاموا النقد الأدبي علىٰ أسس علمية نظرية، وذلك من خلال كتابيه الشهيرين (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، إذ لم يطمس بذلك روح النقد الأدبية الفنية، وقد كان له من ذوقه النافذ وذهنه الواعي ما يوفق بين هذا وذاك، في وقت مبكر شديد التبكير، ولهذا فقلَّ أن يظهر كتاب في البلاغة بعد عبدالقاهر دون أن يشير إلىٰ جهوده العظيمة من قريب أو بعيد.

وقد كان من الطبعي أن تجد هذه الجهود المتميزة عنايةً بالغةً من النقاد، قديمهم وحديثهم، فأفردوا لها الدراسات، وصنفوا فيها المؤلفات، وحللوا ونقدوا ووازنوا، ودوَّنوا كثيراً من الملحوظات العلمية والمنهجية عليها، ومن هنا جاء هذه الدراسة الموجزة التي تحمل عنوان: «**جهود عبدالقاهر الجرجاني في ميزان النقد المعاصر**».

الهدف من الدراسة:

ستسعىٰ الدراسة إلىٰ الكشف عن الرؤىٰ البلاغية والنقدية لمجموعةٍ مختارةٍ من أبرز النقاد المعاصرين الذين توقفوا عند جهود عبدالقاهر في كتابيه الشهيرين، وتوفَّر لهم النظر فيها واستيعابها، وأشاروا إلىٰ قيمتها وأثرها، محاولاً عرضها وفحصها وتفسيرها، ودراستها دراسةً نقديةً تحليلية.

وكان من أسباب اختياري لهؤلاء النقاد – إضافةً إلىٰ شهرتهم وجودة إنتاجهم – أنهم لم يفردوا لآرائهم ومواقفهم تجاه هذه الجهود كتاباً خاصاً، بل كانت متناثرةً في كتبهم ومؤلفاتهم، مما قد يصعب علىٰ الدارسين والباحثين معرفة تلك الآراء والمواقف، ولهذا كان من أهم

أهداف هذه الدراسة جمع هذه المواقف والآراء، والوصول من خلالها إلىٰ بيان مكانة عبدالقاهر العلمية وجهوده في النقد المعاصر.

أهمية الدراسة وأسباب اختيارها:

١- الكشف عن أهم الجهود البلاغية والنقدية التي بذلها عبدالقاهر الجرجاني.

٢- جمع مواقف أهم النقاد المعاصرين ولملمة آرائهم المتناثرة في إنتاجهم الأدبي والنقدي حول هذه الجهود، وعرضها في دراسةٍ واحدة.

٣- تسليط الضوء علىٰ آراء أبرز النقاد المعاصرين في جهود عبدالقاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ودراستها وتحليلها والتعليق عليها وتقديم رؤية نقدية حولها.

٤- تقويم هذه المواقف والآراء، وبيان الصحيح منها والعليل، والإفصاح عن منزلة عبدالقاهر وجهوده البلاغية والنقدية في عيون أولئك النقاد.

الدراسات السابقة:

لا شك أنَّ كثيراً من النقاد تناولوا جهود عبدالقاهر الجرجاني في البلاغة والنقد، وتوقفوا كثيراً عند نظرية النظم التي جاء بها بصفة خاصة، غير أني لم أجد من الدراسات مَن يقف فيها عند هذه الآراء، ويميط اللثام عنها، ويعرضها عرضاً موجزاً، ويحاول أن يدرسها ويفحصها ويحللها، خاصة أن هذا البحث يقف مع أبرز النقاد المعاصرين الذين توفَّر لهم فهم فلسفة عبدالقاهر الجرجاني، واستيعاب المنطلقات الفكرية التي اعتمد عليها في تقديم هذه الجهود في كتابيه.

منهج الدراسة:

اتبعتْ هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يحاول أن يتتبع رأي الناقد بجميع زواياه، ويسعىٰ إلىٰ رصد كل موقف له في كتابه، كما اتبعتْ الدراسة المنهج التحليلي الذي يعرض هذه المواقف والآراء، ويحاول أن يفسرها ويحللها ويعلق عليها، ليخرج القارئ بفكرة واضحة عن هذه الآراء وقيمتها.

تقسيمات الدراسة:

لتحقيق الهدف من هذه الدراسة فقد رأيتُ تقسيمها إلىٰ ثلاثة مباحث، بعد تمهيدٍ عرضتُ بإيجاز فيه لشخصية عبدالقاهر وأبرز جهوده، أما المباحث فقد جاءت علىٰ النحو الآتي:

المبحث الأول: رأي طه حسين في مقدمة كتاب (نقد النثر) المنسوب إلىٰ قدامة بن جعفر[1].

المبحث الثاني: رأي محمد مندور في كتابه (النقد المنهجي عند العرب).

المبحث الثالث: رأي محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)، ونظراً لتعدد آراء هلال وتنوع الزوايا التي نظر من خلالها إلىٰ هذه الجهود فقد رأيت تقسيم هذا المبحث إلىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: رأيه في قضية اللفظ والمعنىٰ.

المطلب الثاني: رأيه في المبالغة ومقولة (أعذب الشعر أكذبه).

المطلب الثالث: رأيه في موقف عبدالقاهر من الصور البيانية، وتأسيسها للإعجاز.

المطلب الرابع: رأيه في صلة عبدالقاهر ببعض آراء أرسطو.

وختمتُ بِخاتِمةٍ بيَّنتُ فيها أبرز النتائج التي توصَّلتُ إليها في هذه الدراسة، وكشفتُ فيها عن أهم التوصيات التي خرجتُ بها، راجياً من المولىٰ القدير أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.

***

(١) وقد تبين فيما بعد أن هذا الكتاب هو (البرهان في وجوه البيان) لأبي الحسين إسحاق بن وهب الكاتب، وقد شك في نسبته إلىٰ قدامة طه حسين. انظر في تحقيق النسبة بحثا لعلي حسن عبدالقادر، مجلة الرسالة: العدد (١٠٨)، ١٩٤٨م.

تمهيد

أولاً: عبدالقاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، فارسي الأصل جرجاني الدار[1]، لم يُعرف عام مولده، نشأ في جرجان وتعلَّم فيها، عاش في ظلِّ أسرة فقيرة، تعمقت لديه ملكة حب العلم، فقرأ لكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والأدب والبلاغة[2]. أخذ العلم عن أستاذين كبيرين هما[3]: أبو الحسين محمد النحوي الفارسي، وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني.

وقد برع عبدالقاهر في مختلف فنون العربية، وذاع صيته في ذلك حتىٰ انتهت إليه رئاسة النحو في زمانه[4]، تتلمذ علىٰ يديه مجموعةٌ من العلماء، من أبرزهم[5]: أحمد بن إبراهيم الشجري، وأحمد الضرير النحوي، وأبو زكريا التبريزي، وغيرهم.

اتفق العلماء علىٰ إمامته وتفرُّده في علمه الغزير، ووصف بأنه من كبار أئمة العربية وشيوخها، وأنه من أوائل الذين دوَّنوا في علم البيان، وأنه مقصد العلماء من جميع الجهات[6].

---

(١) انظر: إنباه الرواة، القفطي (٢/ ١٨٨)، دمية القصر، الباخرزي (٢/ ١٣)، شذرات الذهب، الحنبلي (٣/ ٣٤٠)، الأعلام، الزركلي (٤/ ٤٨).

(٢) انظر: نزهة الألباء، الأنباري (٢٦٤)، بغية الوعاة، السيوطي (٢/ ١٠٦).

(٣) انظر في ترجمة الأول: إشارة التعيين، اليماني (١٨٨)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٨/ ٤٣٢)، وفي الثاني: معجم الأدباء، الحموي (١٤/ ١٤).

(٤) انظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (٥/ ١٠٨).

(٥) انظر في ترجمتهم علىٰ الترتيب: طبقات الشافعية الكبرىٰ، السبكي (٤/ ٢٧)، معجم المؤلفين، كحالة (١/ ٣٠١)، البلغة، الفيروزآبادي (٨٧).

(٦) انظر: دمية القصر، الباخرزي (٢/ ١٢)، فوات الوفيات، الكتبي (٢/ ٣٦٩)، سير أعلام النبلاء،=

توفي الإمام عبدالقاهر الجرجاني في مدينة جرجان سنة ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤هـ[١].

ثانيًا: جهوده البلاغية والنقدية:

كان لعبدالقاهر الجرجاني أثرٌ كبيرٌ في تاريخ البلاغة العربية، فلم يكن هذا العلم قبله سوىٰ أفكار متناثرة، وعبارات متفرقة، فأزاح بكتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ما كان يكتنف البلاغة من لبسٍ وغموضٍ وتداخلٍ واختلاف، وبعد جهودٍ جبَّارة تمكَّن من وضع أسس علمي المعاني والبيان.

يقول صاحب الطراز: «وأول مَن أسَّس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتَّب أفانينه، الشيخ العالم النحرير، عَلَم المحققين، عبدالقاهر الجرجاني، فلقد فكَّ قيد الغرائب بالتقييد، وهدَّ من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزهاره من أكمامها، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها»[٢]، ويقول الرازي: «وفق الله تعالىٰ مجد الإسلام عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني حتىٰ استخرج أصول هذا العلم وقوانينه، ورتب حججه وبراهينه... وصنف في ذلك كتابين... جمع فيهما من القواعد الغريبة، والدقائق العجيبة، والوجوه العقلية، والشواهد النقلية، واللطائف الأدبية، والمباحث الغريبة، ما لا يوجد في كلام من قبله من المتقدمين، ولم يصل إليها غيره من العلماء الراسخين»[٣].

وقد خطا الإمام عبدالقاهر خطوات عظيمة للنهوض بالبلاغة حتىٰ وصلت معه إلىٰ النضج والاكتمال، إذ أقام في كتابيه أسس البلاغة واضحةً متميزة المعالم، وعالجها معالجةً أدبيةً صرفةً

=الذهبي (١٨/ ٤٣٢).

(١) انظر: بغية الوعاة، السيوطي (٢/ ١٠٦)، مرآة الجنان، اليافعي (٣/ ١٠١)، هدية العارفين، البغدادي (١/ ٦٠٦).

(٢) الطراز، العلوي (١/ ٦).

(٣) نهاية الإيجاز، الرازي (٦).

لم تخلُ من خصائص النقد وفضائل الذوق، وأقام نظريته في النظم علىٰ أسسٍ من تركيب الكلام وتأليف النحو، بطريقةٍ جديدةٍ لم يُعرف لها مثيل قبله.

لقد قرأ عبدالقاهر معارف سابقيه، وأكبَّ علىٰ قراءة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي، فاستوعب محتواه وهضم أفكاره، ثم أخرجها للدارسين في ثوبٍ جديد، حيث كان يحتكم إلىٰ الذوق ويعمل عقله في استشفاف مرامي النص واستكناه أسراره وسبر أغواره[1].

وأبرز ما يمكن الإشارة إليه من جهود عبدالقاهر نظريةُ النظم التي أحس من خلالها بجمال النظم العربي وبلاغته، ولهذا كان هدفه في الدلائل البرهنة علىٰ أنَّ القرآن معجزٌ بالنظم، وأنَّ بلاغة الكلام لا ترجع إلىٰ ألفاظه، وإنما إلىٰ ما بينها من صلةٍ وارتباط، ولهذا أطال الحديث عن هذه النظرية واستعان بالصور البيانية في إثباتها.

أما أسرار البلاغة فقد اهتم فيه ببيان قيمة الكلام البلاغية وسرها من الوجهة النفسية، وكان يهدف فيه إلىٰ غاية بلاغية لا إلىٰ دينية كما في الدلائل، ووضع الأصول والقوانين، وبيَّن الأقسام، وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية[2].

وقد تناول عبدالقاهر في الكتابين مجموعةً متنوعةً من الفنون البلاغية، وكان يرىٰ أنَّ علوم البلاغة علمٌ واحد، تتشعَّب مباحثه، وترتبط مع بعضها وتتآلف تحت اسم واحد، وهو علم البلاغة وخصائصه الجمالية، وبذلك يكون عبدالقاهر أثرىٰ البلاغة العربية والبيان العربي إثراءً جليلاً بما كتب في نقد الأساليب وتحليلها واستنباط الفروق والخصائص بينها، وبما عرض من أحكامٍ بلاغيةٍ مفصلية، كان لها الفضل في إرساء علمي المعاني والبيان.

* * *

(١) انظر: البديع بين المتقدمين والمتأخرين، التلب (١٦٢).

(٢) انظر: عبدالقاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، مطلوب (٣٨).

المبحث الأول
رأي طه حسين في مقدمة كتاب (نقد النثر) المنسوب لقدامة

كتب الدكتور طه حسين في مقدمة كتاب (نقد النثر) المنسوب لقدامة بن جعفر تمهيداً في البيان العربي، تناول فيه تاريخ البيان العربي من الجاحظ وحتىٰ عبدالقاهر الجرجاني. والمهم في هذا المبحث تلك الآراء التي بثَّها المؤلف في صفحات قليلة، تحدَّث فيها عن عبدالقاهر وجهوده من خلال كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

فبعد أن تحدَّث المؤلف عن ابن سينا وكيف فهم كتابي (الخطابة) و(الشعر) لأرسطو، بيَّن أنَّ الفلاسفة من بعده لم يلقوا قبولاً لذلك، ولهذا أخذ هذان الفنان - أقصد الخطابة والشعر - يتضاءلان علىٰ مرِّ الزمن[1]. غير أنه يستدرك علىٰ هذا، ويكشف عن أنَّ ابن سينا جعل كتاب (الخطابة) في متناول الفكر العربي، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانين اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتآلفا[2]. وهنا يأتي الحديث عن دور عبدالقاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، الذي استطاع أن يحقق هذا التوفيق بينهما.

يقول طه حسين كاشفاً عن قيمة كتابي عبدالقاهر، ومصادره التي اعتمد عليها فيهما: «صنَّف عبدالقاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كُتب في البيان العربي، هما (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، فعندما نقرأ أولهما[3] نكاد نجزم بأنَّ المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا للعبارة، وأنه فكر فيه كثيراً، وحاول أن يدرسه دراسة نقدٍ وتمحيص»[4]. ويضيف الدكتور طه

(١) انظر: مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٢٨).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٣) يقصد (أسرار البلاغة).

(٤) مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٢٩).

حسين قائلاً: «والواقع أنه درس الحقيقة والمجاز، فتبين له أنَّ تصوُّر القدماء للمجاز مضطربٌ غير مستقيم، فانبرىٰ يوضِّح مبهمه، ويجلو غامضه، فقسَّم المجاز إلىٰ نوعين: مجازٌ لغوي ومجازٌ عقلي»(١). ومعلومٌ أنَّ عبدالقاهر هو أول مَن أشار إلىٰ المجاز العقلي الذي أنكره السكاكي(٢) وعدَّه من الاستعارة المكنية.

ثم يقول طه حسين موضحًا: «ثم قسّم المجاز اللغوي إلىٰ قسمين: أحدهما يقوم علىٰ التشبيه، وأما الآخر فعبارةٌ عن كلِّ لفظٍ استُعمل مكان لفظٍ آخر لصلةٍ بينهما»(٣)، وهذه الصلة هي غير التشبيه، وهو المقصود بالمجاز المرسل، والحقُّ أنَّ السكاكي هو مَن أوائل مَن أطلق عليه مصطلح (مجاز مرسل)، ويبدو أنه قد استلهم كلمة (مرسل) من بيان عبدالقاهر، فقد تردَّدت في حديثه عنه كقوله: عدم التقيد، أو الخلو من دعوىٰ الاتحاد الموجود في الاستعارة.

ويحاول طه حسين أن يربط عبدالقاهر بأرسطو، فيقول في هذا: «وبعدُ، فنحن نعرف مجاز أرسطو الذي يجيز إطلاق اسم الجنس علىٰ النوع، واسم النوع علىٰ الجنس، واسم النوع علىٰ نوعٍ آخر، فمجاز أرسطو هذا هو ما يسميه عبدالقاهر (مجازاً مرسلا)، وأما المجاز الذي يقوم علىٰ التشبيه، والذي يسميه أرسطو (صورة) فيسميه عبدالقاهر (استعارة)، وهو لفظٌ كان القدماء، يطلقونه علىٰ المجاز بكافَّة أنواعه، ولكي يقرِّر عبدالقاهر مذهبه هذا يتعمَّق في دراسة المجاز والتشبيه تعمُّقًا لم يُسبق إليه، ولكن من غير أن يخرج بحالٍ من الحدود التي رسمها أرسطو»(٤). ومعلومٌ أنَّ عبدالقاهر هو أول مَن قال بهذا النوع - أي المجاز العقلي - وقد سماه مجازاً في

(١) مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٢٩).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١٦٩).

(٣) مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٢٩).

(٤) المرجع السابق نفسه.

الإثبات، ومجازاً في الإسناد، ومجازاً عقلياً، وذلك في كتابه (أسرار البلاغة) والمعنىٰ واحد، وفي (الدلائل) سماه المجاز الحكمي[1].

وينتقل الدكتور طه حسين إلىٰ الحديث عن كتاب عبدالقاهر الآخر وهو (دلائل الإعجاز)، مبيناً سبب تأليفه ومنهجه فيه، فيقرر أنه كان يحاول فيه أن يثبت إعجاز القرآن، وهو أمرٌ جعله علماء الكلام الغرض من البيان من عهدٍ بعيد، ولكي يصل عبدالقاهر إلىٰ هذه الغاية يبدأ بحثه بنقض نظريتين قديمتين؛ إحداهما تجعل جمال الكلام في اللفظ، والأخرىٰ تجعله في المعنىٰ، ثم ينتهي به البحث إلىٰ أنَّ الجمال ليس في اللفظ ولا في المعنىٰ، وإنما هو في نظم الكلام، أي في الأسلوب[2].

ويضيف الدكتور موضحا: «ثم يحاول بعد ذلك أن يبين فيم يكون جمال الأسلوب وروعته، فيدرس الجملة بالتفصيل، منفردة ومتصلة، فيضطره البحث إلىٰ الكلام علىٰ أهمية حروف العطف، وقيمة الإيجاز والإطناب، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، وبذلك يضع أساس (علم المعاني) المشهور»[3].

ثم يحاول طه حسين أن يبين قيمة الكتاب وجهود عبدالقاهر فيه فيقول: «ولا يسع من يقرأ (دلائل الإعجاز) إلا أن يعترف بما أنفق عبدالقاهر من جهدٍ صادقٍ خصب في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، وقد وفق عبدالقاهر فيما حاول توفيقاً يدعو إلىٰ الإعجاب، وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقاً،

(١) انظر: أسرار البلاغة، الجرجاني (٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٠، ٤١٥)، دلائل الإعجاز، الجرجاني (٢٩٣، ٢٩٩).

(٢) انظر: مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٣٠).

(٣) المرجع السابق نفسه.

فعبدالقاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه»[1].

إنَّ المتأمل في النصوص السابقة التي حاول فيها طه حسين تقييم جهود عبدالقاهر يلحظ أنه حريصٌ علىٰ ربط بعض الآراء التي توصَّل إليها عبدالقاهر -سواء من خلال نظرية النظم أو غيره- بآراء أرسطو العامة، وإن كنتُ لا أنكر أنَّ عبدالقاهر ربما أفاد من أرسطو علىٰ الجملة، ولكن ليس إلىٰ هذه الدرجة التي بالغ فيها طه حسين.

بل إننا نجده في موضع آخر يقول بصريح العبارة: «ولذلك لم يكن عبدالقاهر عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه»[2]، بل إننا نراه أحياناً ينسب الفضل إلىٰ أرسطو في تعليم العرب علم البيان، يقول: «وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها، ولكنه إلىٰ جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان»[3].

والعجيب أنه في هذا الوقت الذي يحتفي فيه طه حسين بهذا التأثر، ويؤكد عليه أكثر من موضع، نجد ريتر يؤكد في تحقيقه لكتاب أسرار البلاغة أنَّ دعوىٰ تأثر البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية دعوىٰ لا أساس لها، ولا ترتكز علىٰ سبب، ولا تنهض علىٰ أي دليل[4]، معتمداً علىٰ أساس أنَّ المؤلفات العربية في البلاغة كانت قد ظهرتْ قبل ظهور الشاعر أبي تمام الذي يعزو إليه طه حسين البدايات الأولىٰ لأمثال هذا التأثير.

ومهما يكن من أمر فإنَّ عبدالقاهر الجرجاني يعد من أوائل من أسس لنظرية النظم، حتىٰ لو

(١) مقدمة نقد النثر، ابن وهب (٣٠).

(٢) المرجع السابق (١٤).

(٣) المرجع السابق (٣١).

(٤) انظر: مقدمة تحقيق هلموت ريتر لكتاب أسرار البلاغة، الجرجاني (١٣).

تناثرت في كتابات من سبقوه بعض الملاحظات والمصطلحات، غير أنَّ هذا لا يؤثر أبدا في كونه أول من قال بهذه النظرية؛ لأنَّ حديث مَن سبقوه عن الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء كان على صورة ملاحظات جزئية متناثرة، وهو أمر يختلف تماماً عن الإفادة منها في وضع نظريةٍ متكاملةٍ نشأ على إثرها علم المعاني الذي وضع عبدالقاهر أصوله وشكَّل فصوله بصورةٍ دقيقةٍ لم تُعرف من قبل[1].

***

المبحث الثاني

رأي محمد مندور في كتاب (النقد المنهجي عند العرب)

وصف الدكتور محمد مندور عبدالقاهر الجرجاني بأنه نحويٌّ ومفكّرٌ عظيم الخطر، كما وصفه بأنه رجلٌ سليم الذوق، قد قاوم تيار اللفظية أشدَّ مقاومة، وقال بأنَّ الألفاظ خدمٌ للمعاني[2]، وعند التأمل في هذا الرأي يظهر عدم دقته، فإنَّ عبدالقاهر قد فنَّد آراء مَن يرون مزيةً للفظ في ذاته، كما فنَّد آراء مَن يرون مزيةً للمعنى وحده، وأنَّ الإعجاز مردُّه إلى النظم، وما بين المفردات من علاقات ومعان، بهذه النظرة الكلية كان يقول صاحب الدلائل.

يقول مندور: «وفي الحقِّ إنَّ عبدالقاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كوَّن مبادئه في إدراك دلائل الإعجاز»[3].

---

(١) انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ضيف (١٨٩).

(٢) انظر: النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٣).

(٣) المرجع السابق (٣٣٣، ٣٣٤).

ويرىٰ مندور أنَّ مذهب عبدالقاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا في أيامنا هذه، كمذهب السويسري فرنا ندي سوسير (١٩١٣م) ونعوم تشومسكي، وقرَّر أنه لا يهمنا من هذا المذهب الخطير إلا طريقة استخدامه كأساسٍ لمنهجٍ لغويٍّ في نقد النصوص[١]، والحقُّ أنَّ هذه لفتةٌ طيبةٌ من المؤلف، وتأكيدٌ علىٰ أصالة تراثنا العربي، فكثيرٌ من النظريات الغربية التي يُحتفىٰ بها موجودةٌ معروفةٌ في تراثنا، لكنها الانهزامية وعدم الثقة بالنفس، والإعجاب بالآخر.

يقول مندور: «لقد فطن عبدالقاهر إلىٰ أنَّ اللغة ليست مجموعةً من الألفاظ، بل مجموعةً من العلاقات فقال: اعلم أنَّ هنا أصلاً أنت ترىٰ الناس فيه في صورة مَن يعرف مِن جانب وينكر مِن جانب آخر، وهو أنَّ الألفاظ التي من أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضمَّ بعضها إلىٰ بعض فيُعرف فيما بينها فوائد..»[٢]، وهذا هو الأساس الذي ينطلق منه عبدالقاهر في نظريته (النظم) التي ما فتئ يرسِّخ أصولها في مواضع كثيرةٍ من كتابه.

ثم يضيف المؤلف معلقاً علىٰ كلام عبدالقاهر، وقد أدرك أهمية هذا النص الذي يشكِّل أساس النظرية ومفهومها: «وفي هذا النص البالغ الأهمية نجد فلسفة عبدالقاهر اللغوية العميقة، وعن هذه الفلسفة صدرت كل آرائه في نقد النصوص، وإذن فالمهم في اللغة ليس الألفاظ، بل مجموعة الروابط التي تقيمها بين الأشياء، بفضل الأدوات اللغوية»[٣]، ومندور هنا ينبه إلىٰ أهمية هذه الفلسفة التي كان يتكئ عليها عبدالقاهر في نظريته، وأنَّ فهمها واستيعابها كفيلٌ بأن يوصل القارئ إلىٰ مغاليق فكر عبدالقاهر، ويكشف له عن أبعاد نظريته هذه من جميع جوانبها.

ويضيف المؤلف قائلاً: «وإذن فمنهج هذا المفكر العميق هو منهج النقد اللغوي، منهج النحو، علىٰ أن نفهم من النحو أنه: العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الأشياء،

(١) انظر: النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٤).

(٢) المرجع السابق (٣٣٤)، وانظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني (٢٨٧، ٢٨٨).

(٣) النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٥).

إذ يقول: اعلم أنَّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علىٰ أصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت»[1]، ومندور هنا يحاول أن يحدد المنهج الذي كان يسير عليه عبدالقاهر في تفكيره، ويطلق عليه (منهج النقد اللغوي) أو (منهج النحو)، وهو إطلاقٌ دقيقٌ ينطلق من اهتمام عبدالقاهر بالعلاقات اللغوية والتراكيب النحوية التي أقام عليها نظرية النظم.

ثم يحاول مندور أن يكشف عن نموذج تطبيقي من معالجات عبدالقاهر، وكيف كان يتعامل مع النصوص وفق هذا المنهج النقدي اللغوي، يقول: «ولكي نوضح هذه الفكرة نأخذ مثلاً قول عبدالقاهر: «فانظر إلىٰ قول إبراهيم بن العباس:

فلو إذ نبا دهرٌ وأنكر صاحبٌ ❊ وسلط أعداء وغاب نصيرُ
تكون عن الأهوار داري بنجوةٍ ❊ ولكن مقادير جرت وأمورُ
وإني لأرجو بعد هذا محمداً ❊ لأفضل ما يرجىٰ أخٌ ووزيرُ[2]

فإنك ترىٰ من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة، فتفتقد السبب في ذلك فتجده إنما كان من أجل:

١ - تقديم الظرف (إذ نبا) علىٰ عامله الذي هو: (تكون).

٢ - ثم قال: (تكون)، ولم يقل: (كان).

٣ - ثم نكر (الدهر)، ولم يقل: إذ نبا الدهر.

٤ - ثم انساق هذا التنكير في جميع ما أتىٰ به بعده: (صاحب، أعداء، نصير..).

٥ - ثم أن قال: (وأنكر صاحب) ولم يقل: (وأنكرت صاحباً)»[3].

---

(١) النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٦)، وانظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني (٤٨).

(٢) ديوانه في الطرائف الأدبية، الصولي (١٣٢).

(٣) دلائل الإعجاز، الجرجاني (٨٦).

فالأساس عنده إذن علم النحو علىٰ أن يشمل النحو علم المعاني، وأن يعدو الصحة اللغوية إلىٰ الجودة الفنية، وفي النهاية تحكيمٌ للذوق فيما يحيط به المعرفة ولا تدركه الصفة... وأما ما دون ذلك من بديع فعبدالقاهر يرفضه ولا يقبل منه إلا ما يكون فيه تقويةٌ للمعنىٰ أو إيضاح[1]، ولاشك أنَّ جزءاً كبيراً من هذا التوجه كان عبارةً عن ردَّة فعل تجاه أولئك الذين احتفوا بالألفاظ، ورأوا أنها مناط المزية، وأهملوا أثر المعنىٰ والعلائق اللغوية في جمال الأسلوب وتفرده، ولعل هذا السرَّ الذي جعل عبدالقاهر لا يحتفي بالبديع كثيرا.

ويحاول مندور في خواتيم هذا الرأي أن يكشف عن أصالة منهج عبدالقاهر، وامتداد تأثيره إلىٰ يومنا هذا، متجاوزاً حدود الزمان والمكان، غير أنَّ إشكاليةً كانت تواجهه، يقول: «ومنهج عبدالقاهر هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي... ولكن للأسف، لم يُفهم علىٰ وجهه ولا استُغل كما ينبغي»، ويضيف: «ولقد قامت في أوروبا نظريات وأصول علىٰ فكرة أنَّ اللغة مجموعةٌ من العلامات، واستخدمت تلك الأصول في فلسفة اللغات وفي نقد الآداب، وأما عندنا فقد غلب تيار البديع علىٰ تيار المعاني عند السكاكي، ومَن تلاه، وكانت في ذلك محنة الأدب العربي»[2].

ويختتم المؤلف مؤكداً قيمة هذا المنهج، وأصالته، ومدىٰ صلاحيته، وحجم تأثيره: «المنهج اللغوي الذي يضم إلىٰ علم النحو علم التراكيب الذي يشبه ما نسميه الآن علم المعاني، هذا المنهج الذي وضعه عبدالقاهر خليقٌ بأن يجدِّد فهمنا لتراثنا الأدبي كله، وإذا لم يكن من بُدٍّ من تدريس شيءٍ نسميه البلاغة فلتكن بلاغة دلائل الإعجاز. إنه لتراثٌ عظيمٌ أن نمتلك في النقد الأدبي المنهجي كتابين كالموازنة والوساطة، وفي المنهج اللغوي كتاباً كالدلائل، نجد فيه أدقَّ

(١) النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٨).

(٢) المرجع السابق (٣٣٩).

نقدٍ موضوعيٍّ تطبيقيٍّ وأعمقه»[1].

لقد كشف مندور في كتابه هذا بوضوح عن قيمة جهود عبدالقاهر، وكشف اللثام عن براعة منهجه البكر والأصيل في معالجة النصوص، والمنطلقات التي اعتمد عليها في بناء هذا المنهج المتميز، وكيف أنه مهَّد الطريق لمن بعده لفهم أسرار إعجاز القرآن، واستيعاب وجوه بلاغته وفصاحته، وأسباب تميز أسلوبه وتفرد نظمه.

* * *

المبحث الثالث

آراء محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)

لعل الدكتور محمد غنيمي هلال يعد من أبرز النقاد المعاصرين وقوفاً عند جهود عبدالقاهر البلاغية والنقدية، إذ يرىٰ المتأمل في كتابه (النقد الأدبي الحديث) مواقف متنوعة ووقفات متعددة مع هذه الجهود؛ ولهذا فإنَّ الحديث عن آراء هذا الناقد سيمتدُّ معنا في هذا المبحث؛ سعياً إلىٰ الإلمام بشتات هذه المواقف والوقفات، والنظر فيها ودراستها، وبناءً علىٰ ذلك فسيتكوَّن هذا المبحث من أربعة مطالب، في كلِّ واحدٍ منها عرضٌ ودراسةٌ وتحليلٌ لموقف المؤلف من إحدىٰ القضايا الكبرىٰ التي طرحها عبدالقاهر الجرجاني في أحد كتابيه أو في كليهما.

*** المطلب الأول: رأيه في قضية اللفظ والمعنىٰ:**

عقد الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث) فصلاً تحدَّث فيه عن اللفظ والمعنىٰ وآراء النقاد العرب في هذه القضية، فذكر أنَّ فريقاً ذهب إلىٰ الاحتفال باللفظ، وآخر ذهب إلىٰ الاحتفال بالمعنىٰ، وثالثاً ذهب إلىٰ المساواة بينهما. ثم بين أنَّ هذه الآراء وصلت إلىٰ

(١) النقد المنهجي عند العرب، مندور (٣٣٩).

عبدالقاهر الجرجاني الذي أعمل فيها فكره وذهنه كثيراً، وكان مجلياً في هذا الميدان.

يقول هلال مبيناً رأيه في موقف عبدالقاهر من هذه القضية: «ونعتقد أنَّ عبدالقاهر لم يقر مَن رجحوا المعنىٰ علىٰ اللفظ، بل كان من أنصار الصياغة، من حيث دلالة هذه الصياغة علىٰ جلاء الصورة الأدبية..»[1]، أي أنَّ عبدالقاهر لم يكن من أنصار اللفظ في ذاته؛ لأنَّ في هذا - كما يشير عبدالقاهر - مساساً بقضية الإعجاز؛ لأنه لو اعتدَّ بالألفاظ لما أمكن تمييز القرآن من غيره، إضافةً إلىٰ أنها مادة اللغة عامة، وكانت معروفةً لدىٰ العرب، فلا يمكن أن يكون بها تحدٍ لهم[2]، ويضيف المؤلف موضحاً موقف عبدالقاهر: «فكما لم يرضَ عبدالقاهر بالرجوع إلىٰ مجرَّد المعنىٰ في تقويم الأدب، لم يقنع كذلك بالوقوف عند حدود الألفاظ من حيث هي ألفاظ، وإنما رمىٰ إلىٰ ربط الألفاظ بدلالتها في السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية»[3]، وهو الأساس الذي تقوم عليه نظريته في النظم.

ثم نراه يقول مضيفاً علىٰ هذا: «إنَّ اللفظ والمعنىٰ متلازمان، فالعملية الفكرية واحدة، ومنها تتجلىٰ الصورة الأدبية عن طريق صياغتها، فإذا كانت العبرة بالألفاظ في مواقعها من الجمل فليس ذلك لأنها المقصودة أولاً بالفكر... ولكن هذا الترتيب للألفاظ يقع ملازماً للمطلوب الأول، وهو المعنىٰ المدلول عليه في الصورة»[4]. ويقول بعد هذا مكملاً الفكرة: «فيرىٰ عبدالقاهر أنَّ اللفظ تابعٌ للمعنىٰ ضرورة؛ إذ الألفاظ أوعية للمعاني، وهي أدواتنا لفهم هذه المعاني»[5].

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٦٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٦٨).

(٣) المرجع السابق (٢٦٧).

(٤) المرجع السابق (٢٧٢) (بتصرف يسير).

(٥) المرجع السابق (٢٧٣).

ثم يبين المؤلف بعد ذلك أنَّ كلَّ ما سبق من شأنه أن يبين لنا كيف كشف عبدالقاهر عن نظريته (النظم) التي يقصد بها «صياغة الجمل ودلالتها علىٰ الصورة، وهذه الصياغة هي محور الفضيلة والمزية في الكلام»[1]، تلك الصياغة التي تتشكَّل من العلاقات بين المفردات والجمل، وما يكمن من وراء التعبيرات والصيغ من مزايا وأسرارٍ بلاغيةٍ ينبغي أن تُراعىٰ، فيبني البلاغي كلامه البناء الذي تتحقق فيه تلك المزايا، ويصوغه الصياغة التي تسطع فيه هذه الأسرار[2].

ويضيف محمد غنيمي هلال مبيناً جهد عبدالقاهر في هذا المجال: «ولهذا عُني عبدالقاهر بشرح دلالات الألفاظ واختلافها باختلاف مواقعها في الجمل، فيما سماه (النظم)، وقد قام في هذا الباب بجهدٍ عظيم الخطر، فهو يقصد بالنظم ما يطلق عيه الغربيون (علم التراكيب)، وهو عندهم أهم أجزاء النحو، ويعرِّفه عبدالقاهر بأنه: وضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو»[3]، فعبدالقاهر سبق الفكر الغربي في معرفة التراكيب الذي يختص عندهم بدراسة العلاقات داخل الجملة وحركة العناصر[4].

ثم يبين المؤلف بعد هذا ما فعله عبدالقاهر تجاه علم النحو، حيث أكَّد أنه وسَّع دائرته، فلا يقتصر علىٰ وجوه الإعراب وأنواع الجمل من اسميةٍ وفعلية، ومن استعمال أدوات الربط المختلفة، ولكنه يشمل ما يُدرس الآن في علم المعاني من الفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والإظهار والإضمار، وكثير من المحسنات البيانية والبديعية التي تضاف إلىٰ المعنىٰ، كالمزاوجة بين الشرط والجزاء، وكالتقسيم والجمع وتشبيه التمثيل[5].

---

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٣).

(٢) انظر: دراسات بلاغية، فيود (٣٦).

(٣) النقد الأدبي الحديث، هلال: (ص٢٦٧).

(٤) انظر: محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير (١٤٩).

(٥) انظر: النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٦).

ويختم الدكتور محمد غنيمي هلال موقفه ورأيه في هذا القضية بقوله: «ومن هنا يظهر أنَّ النظم – وهو مدار الحسن عند عبدالقاهر – متميز عن المعنىٰ في ذاته مجرداً، وعن اللفظ في ذاته منفرداً؛ لأنه صياغة الكلام في جمل متآزرة علىٰ جلاء الصورة المرادة»[1]، وهو فهمٌ دقيقٌ لمراد عبدالقاهر من هذه النظرية، وتأكيدٌ علىٰ أنها مدار الحسن ومناط المزية.

*** المطلب الثاني: رأيه في المبالغة ومقولة (أعذب الشعر أكذبه):**

تحدَّث الدكتور محمد غنيمي هلال عن رأي عبدالقاهر الجرجاني في المبالغة ومقولة (أعذب الشعر أكذبه)، وذلك في الفصل الرابع الذي عقده لبيان الأهداف الإنسانية للأدب في النقد العربي، فبعد أن عرَّف المؤلف المبالغة والغلو والإغراق والتخييل ذكر أنَّ النقاد العرب انقسموا حيال هذه القضية إلىٰ قسمين: فمنهم مَن أنكرها وهم قليل، والغالبية يرونها خير مذهب.

ثم بين شرح عبدالقاهر لموقف من قال بأنَّ خير الشعر أكذبه، وفسَّر ذلك بأنَّ الشعر لا يلتزم حدود المنطق بإقامة البراهين علىٰ ما يقال؛ إذ الشعر من حيث هو شعر لا يكتسب فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً بأن ينحل الوضيع من الرفعة ما هو منه عار، أو يصف الشريف بنقص أو عار[2]، ثم يكشف المؤلف عن رأي عبدالقاهر قائلاً: «ويعارضه[3] بالرأي الذي يزن الشعر بميزان الصدق، وبعد أن يبين حجج الرأيين ينتصر للأخير»[4].

لكنَّ هلالاً لم يكتفِ بذلك، بل راح يفصِّل ويشرح هذا الموقف بقوله: «وعبدالقاهر ينتصر

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٧).

(٢) المرجع السابق (١٣٢).

(٣) أي أن عبدالقاهر يعارض رأي من قال: (خير الشعر أكذبه).

(٤) النقد الأدبي الحديث، هلال (١٣٢).

لمن قال: خير الشعر أصدقه، فهو يوجب الإغراق والمبالغة، وتحري التحقيق والتصحيح، واعتماد ما يجري من العقل علىٰ أساسٍ صحيح، ولا عبرة عنده بالعبارة المطلية التي تزين الباطل، وتصور الكذب، إذ الحق أوسع ميدانا، وأجدر بتوجه الهمم إليه، وقد اتبع عبدالقاهر في رأيه بعض مَن سبقوه، فآثروا الصدق في الشعر والأدب كله»[1]، ويضيف المؤلف أنَّ أثر هؤلاء ضئيلٌ في الإنتاج الأدبي جملة.

وبعد هذا كله يصرِّح هلال بموقفه من القضية فيقول: «هذا، ونعتقد أنه ليس من الصواب قبول المبالغة وما يتصل بها علىٰ وجه الإطلاق، ولا رفضها كذلك، ولا تعميم القول بقبولها في حال الاعتدال أو الوسط كما قالوه، بل الصواب أن تُقبل هذه الوجوه وسواها علىٰ أساس الصدق، فإذا لم تزيف الحقائق ولم تصور غير الواقع، ولم توهم الباطل كانت مقبولة، بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنىٰ وإثارة الفكر والخيال، وتوصيل أعمق الحقائق إلىٰ العقل والقلب»[2].

ثم يضرب المؤلف بعض المواقف والنماذج التي تحسن فيها المبالغة، فمن ذلك:

١ – المواقف العاطفية، حيث تقصر اللغة عن التعبير العميق منها، فيقصد الشاعر إلىٰ المبالغة لتصويرها وهو صادق؛ كقول الشاعر:

لو أن لك الدنيا وما عدلت به ❋ سواها وليلىٰ بائن عنك بينها
لكنتَ إلىٰ ليلىٰ فقيراً وإنما ❋ يقود إليها ودُّ نفسك حينها[3]

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٣٠).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) منسوبان إلىٰ قيس بن الملوح في: الفاضل، المبرد (٢٧)، المقاصد النحوية، العيني (١/ ٣٣٩)، ولم أجدهما في ديوانه.

لأنَّ قيمة ليلىٰ عنده فوق كل القيم.

٢ - الاستعارات التي يراد بها المبالغة في التصوير لأنَّ المقام لا تدركه العقول.

٣ - إذا قامت قرينةٌ تصرف الكلام عن تصوير الكذب، وتؤكد أنَّ المراد مجرد المجاز للتعبير عن حقيقة، ويضرب المؤلف مثالاً لأرسطو في هذا: (عطاؤه كرمل البحر).

٤ - إذا أريد التعبير عن طباع تدفع الإنسان إلىٰ تصرفٍ لا تُفهم دواعيه ولا يسانده منطقٌ مفهوم[١].

ثم يبين المؤلف بعض الأمثلة والمواقف التي تكون فيها المبالغة ممقوتة، فيقول: «ولكن إذا كان التخيل مبنياً علىٰ التزييف وخداع النفس والناس، فهو ضارٌّ بالصدق وغير محمود»[٢].

ويقول بعد هذا مضيفاً: «ومن قبيل هذا[٣] التعليل بما هو غير معروف كقول الشاعر:

لا يذوقُ الإغفاءَ إلا رجاءً * أن يَرىٰ طيف مستميحٍ رواحا[٤]

فهو تعليلٌ بما هو غير معروف، ولم يذهب الشاعر إليه إلا ليرضي ممدوحه، ولم يتحرَّ فيه صدقاً، بل تكلَّف وخالف قاصداً الإغراب والإبداع والبعد عن العادة والمعروف»[٥].

ويختم هلال ببيان فساد مَن قال برفض المبالغة علىٰ الإطلاق ومَن قال بقبولها علىٰ الإطلاق فيقول: «وفي هذا وأمثاله إفراطٌ وإغراقٌ فسد بها كثير من الشعر العربي، إذ ولع بها المحدثون ومَن سار علىٰ نهجهم من النقاد، وما تأتىٰ ذلك إلا لأنَّ هؤلاء النقاد لم يضعوا نصب

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٣٠، ٢٣١) (بتصرف).

(٢) المرجع السابق (٢٣٢).

(٣) أي: التخييل المعيب.

(٤) هو أبو طالب المأموني يمدح بعض وزراء بخارىٰ، انظر: يتيمة الدهر، الثعالبي (٤/ ١٥٧).

(٥) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٣٣).

أعينهم الصدق هدفًا، بل لجؤوا إلىٰ الدعوة إلىٰ الإبداع والإغراب وتلقين ما يساير التقاليد، حتىٰ كان نيل الحظوة بالمدح فنًا من الفنون لا يبالي فيه الأديب والناقد كلاهما بأمر الصدق، وحتىٰ صارت السرقة الأدبية نفسها فنًا تلقن الحيلة فيه»[1]. ويختتم قائلاً: «ثم إنَّ مَن دعوا إلىٰ الصدق لم تكن وراء دعوتهم فلسفة اجتماعية أو خلقية، علىٰ نحو ما كان عند أرسطو وما كان عند النقد الحديث»[2].

وإذا كان المؤلف قد بين فساد الرأيين في هذه النصوص التي أثبتُّها له، فهذا يدل علىٰ أنه يرىٰ أنَّ المذهب الصحيح في هذه القضية هو الموقف الوسط، فلا إفراط ولا تفريط.

وعند الرجوع إلىٰ التراث البلاغي والنقدي نجد خلافًا واضحًا في هذه القضية، فمن العلماء[3] مَن رفض المبالغة، ورأىٰ أنها قائمةٌ علىٰ الكذب، ومنهم[4] مَن دافع عنها مؤيداً مقولة (أصدق الشعر أكذبه)، بل يرىٰ أنَّ فحول الأدباء من شعراء وكُتَّاب هم الذين يتعاطونها ويتسابقون في مضمارها.

غير أني أرىٰ أن موقف المؤلف في هذه القضية يحمل نوعًا من الغموض وعدم الدقة، وإذا كان رأيه منطقيًا في الجانب النظري إلا أنه عند التطبيق لا يظهر كذلك، فنحن نراه لا يقبل بيت أبي طالب المأموني، بحجة أنه تعليلٌ بما هو غير معروف، وأنَّ الشاعر لم يذهب إليه إلا ليرضي ممدوحه، وأنه لم يتحر فيه صدقًا، بل تكلَّف وخالف قاصداً الإغراب والإبداع والبعد عن العادة والمعروف، وإذا كان المؤلف سيطبق هذا المقياس بهذه الدقة فسيسقط جُلُّ الشعر العربي القائم

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٣٤).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس (٢٧٣)، عيار الشعر، العلوي (١٢، ١٧).

(٤) انظر: نقد الشعر، ابن جعفر (٩٤)، العمدة، ابن رشيق (١/ ٢٢)، خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي (٣/ ١٣٣).

علىٰ المبالغة.

وقد رأينا عبدالقاهر في الدلائل يثني علىٰ هذا البيت ويحتفي به، ويقبله علىٰ ما فيه من مبالغة، والناظر في منهجه يرىٰ أنه ارتضىٰ من التخييل «ما كان شبيهاً بالحقيقة، وهو الذي تبلغ فيه قوة التعليل درجة عالية، أي يسمح لقوة الاستدلال العقلي أن تستكشف درجة التمويه فيه»[1]، وعلىٰ كلٍّ فيجب ألا ننكر أنَّ للذوق أثراً كبيراً في قبول بعض المبالغات، وردِّ بعضها الآخر، وإلا فإنَّ الشعر العربي زاخرٌ بالمبالغات الفنية الجميلة التي لا زال نقادنا يحتفون بها حتىٰ اليوم.

*** المطلب الثالث: رأيه في موقف عبدالقاهر من الصور البيانية وتأسيسها للإعجاز:**

يشير الدكتور محمد غنيمي هلال في مواضع متعددة من كتابه (النقد الأدبي الحديث) إلىٰ أنه من أهم الأمور التي كان يحرص عليها عبدالقاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم جلاء الصورة الأدبية.

يقول المؤلف في ذلك: «وكما أنَّ النظم لا يظهر في الكلمة إلا بحسب موقعها في الجملة، وبهذا الموقع تتأثر الصورة التي يهدف الأديب إلىٰ رسمها، فكذلك الجملة لا يبين حسن نظمها إلا إذا ائتلفت بدورها مع جاراتها فيما تهدف إليه هذه الجمل من معنىٰ، ليتألف من مجموع الجمل صورةٌ أدبيةٌ قد أعمل فيها الفكر، وظهر أنها صدرت عن رويةٍ وأناة»[2].

ويقول في موضع آخر مؤكداً: «أما الاستعارات والمجاز والمحسنات البديعية فمع جريانها في الألفاظ، لا يظهر حسنها إلا إذا راعينا فيها وجوه الجمال في الصياغة والتصوير، ولهذا تلتقي

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عباس (٤٣٦)، وللتوسع في هذه القضية راجع كتاب: مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، الصميلي.

(٢) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٦).

مع ما يهدف إليه عبدالقاهر من معاني (النظم) في تأليف الصورة الأدبية»[1].

ويستحضر المؤلف تعليق عبدالقاهر علىٰ أبيات كثر ثناء النقاد عليها، زاعمين مع ذلك أن ليس وراءها كبير معنىٰ، وهي قول الشاعر:

ولما قضينا من منىٰ كل حاجة ❋ ومسح بالأركان من هو ماسحُ
وشدت علىٰ دهم المهارىٰ رحالنا ❋ ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ❋ وسالت بأعناق المطي الأباطحُ[2]

فيعيب علىٰ مَن لم ير فيها غير طلاوة اللفظ، ويرىٰ أنَّ طلاوة الألفاظ فيها مقرونةٌ بحسن النظم، فهي لا محالة تفيد المعنىٰ، فتؤدي إلىٰ تأليف الصورة المرادة[3]. فعبدالقاهر يثني علىٰ الأبيات من حيث تآزر ألفاظها وجملها علىٰ تأليف الصورة الأدبية. وبعد هذا المثال يستنتج المؤلف أنَّ مدار الحسن النظم عند عبدالقاهر من حيث تصويره للمعنىٰ، أو للصورة من حيث هي مدلول عليها في النظم[4].

أما جمال الصورة الأدبية فإنَّ عبدالقاهر يشترط لها تآزر الجمل المتآلفة علىٰ معنىٰ، كي يتم بها وضع الصورة، فيتحقق الحسن في النظم، كما يرىٰ أنَّ هناك محسنات تجري في الألفاظ، ولكن لا من حيث هي ألفاظ، بل من حيث هي محسنات لفظية في الصياغة والسياق، ومن القصور الوقوف فيها عند مجرد اللفظ، وهو ما يؤكد لنا اهتمام عبدالقاهر بطريقة نظم الكلام

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٧).

(٢) نسبها الشريف المرتضىٰ في أماليه (٢/ ١١٠) إلىٰ عقبة بن كعب بن زهير، ورواها القالي في ذيل الأمالي (١٦٦)، وياقوت في معجم البلدان (٨/ ١٥٩) دون نسبة.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني (٧٤)، أسرار البلاغة، الجرجاني (٢١).

(٤) انظر: النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٨٠).

وكيفية بنائه وصياغته، وأنَّ مدار الحسن ومناط المزية لا يمكن أن يتوجَّه إلىٰ شيءٍ دون شيء.

يقول الدكتور هلال شارحًا رأي عبدالقاهر: «فصياغة النظم هي التي تؤثر التأثير المعتد به في الصورة الأدبية، وإنما يعني باللفظ في النظم لتأليف أجزاء هذه الصورة التي لا تكتمل إلا بدقة الصنع في ذلك النظم، وباختيار الألفاظ، ووضعها في مواضعها الملائمة لها في الجمل، ووضع الجمل بعضها إلىٰ جانب بعض، ليشاكل بعضها بعضًا، فيتم تأليف هذه الصورة»، ثم يضيف مستنتجًا: «فالصورة الأدبية التي يتعاون في تأليفها المجاز والنظم هي مدار الحسن عند عبدالقاهر»[1].

لكن المؤلف يورد بعد هذا تساؤلاً مفاده: هل يقف عبدالقاهر في تقويم الصورة الأدبية عند حدود الجمال المحض دون قصد إلىٰ شرف المعنىٰ في ذاته؟ ويجيب عنه بقوله: «يبدو أنَّ الأمر كذلك، فقد نعىٰ عبدالقاهر علىٰ مَن يرون الحسن في الحكمة السائرة، والخلف السائد، لا تتجاوز هذه الحدود، ولم يذكر عبدالقاهر سوىٰ الصورة الأدبية أساسًا للحسن، وهي التي يتوافر فيها حسن النظم، سواء اشتملت علىٰ حكمة أم لا، ولا يشترط عبدالقاهر غايةً اجتماعيةً أو خلقيةً للكاتب، ومتىٰ حسنت الصورة الأدبية باستكمال حسن النظم وحسن الألفاظ في مواقعها، فقد حسن الكلام»[2].

ويُفهم من الكلام السابق أنَّ عبدالقاهر يرىٰ أنَّ الصورة البيانية تؤسس الإعجاز، فقد كان الدافع الديني جليًا في بحثه في هذه القضية، ولأجل ذلك كان يولي الصياغة كل الأهمية من حيث تصويرها للمعنىٰ، واستعانتها في ذلك بالألفاظ في صلتها بعضها ببعض في داخل الجملة الواحدة، ثم بالجمل في تعاونها علىٰ تأليف الصورة[3].

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٨٣).

(٢) المرجع السابق (٢٨٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٨٦) (بتصرف).

وبهذا - كما يشير المؤلف - تكون قد نضجت في بحوث عبدالقاهر مسألة الصياغة والمعنىٰ، أو الشكل والمضمون، أو الفكرة وقالبها الفني، وإن كان عبدالقاهر لم يقصد إلىٰ الفكرة في وحدة العمل الفني بوصفه كلاً، وإنما قصد إلىٰ الصورة الأدبية المفردة التي يتكون العمل الأدبي من مجموعة منها.

والمتأمل في معالجات عبدالقاهر للصورة وقضاياها تتجلىٰ له محاولته أن تظلَّ جهوده فيها منسجمةً مع سعيه إلىٰ «تبيان حقيقة الإعجاز، فالتفاوت في الصور -مهما تتقارب- شيءٌ لا يكاد يقف عند حد، فإذا بلغ الأثر الأدبي درجةً من التمييز لا يلحقه فيها أي أثرٍ آخر صحَّ أن يسمَّىٰ معجزاً، ومثل هذا التفاوت يتحقَّق في المعنىٰ، أي القضايا الخارجية مهما يكن حظُّها من الجد والسمو، كأن تكون مما أيد العقل صحته المطلقة»[1].

«ثم إنَّ التركيز علىٰ الصورة وحدها يبعد عبدالقاهر من الخوض في العلاقة بينها وبين (الفاعل) لها أو (القوة الفاعلة)، إذ إنَّ تلك العلاقة لا يمكن بحثها في إطار الإعجاز القرآني، وما دام همُّ الناقد أن يستكشف الجمال الفني أيًا كانت درجته في الصورة، فإنَّ درجة ذلك الجمال - بالنسبة لغيره - هي التي تشير إلىٰ طبيعة القدرة التي تمكنت من إبراز تلك الصورة»[2].

*** المطلب الرابع: رأيه في صلة عبدالقاهر ببعض آراء أرسطو:**

يرىٰ الدكتور محمد غنيمي هلال أنَّ عبدالقاهر الجرجاني أفاد من بعض آراء أرسطو في النقد الأدبي، وقد أشار إلىٰ بعضٍ منها في ثنايا كتابه (النقد الأدبي الحديث)، وفي هذا المطلب سأحاول أن ألقي الضوء علىٰ بعض جوانب هذه القضية، وأشير إلىٰ بعض الوشائج والصلات

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عباس (٤٢٦).

(٢) المرجع السابق نفسه.

التي لاحظها المؤلف بين فكري الرجلين.

أولىٰ هذه الصلات أنَّ أرسطو كان يرىٰ أنَّ الشعر والرسوم والفنون جميعًا لا تقتصر مهمتها علىٰ رسم الظواهر، بل تصور كلها الأخلاق والوجدانات والانفعالات، ومن ثم فقد قرن أرسطو وظيفة المحاكاة الفنية بالرسم والتصوير، وقد أفاد عبدالقاهر من هذه الرؤية، ولذا نراه يقرن الشعر الغنائي بالتصوير والنقش، ويؤكد هلال أنه لم يستطع أحدٌ من العلماء أن يستنتج نتائج مهمة من هذه الرؤية سوىٰ عبدالقاهر الجرجاني[1].

ومن ذلك ما يراه أرسطو من أنَّ خصائص الأسلوب العامة منها: الصحة، وأنها أساس لجودة الكلام، وتستلزم هذه الصحة أموراً منها: صحة استعمال الكلمات التي تربط الكلام بعضه ببعض، ومن هذه الكلمات متعلقات الفعل والاسم بما تشتمل عليه أحيانًا من حروف تدخل الأسماء، ولذلك يرىٰ أرسطو أنه لا يصح أن يدخل فيها تقديمٌ أو تأخيرٌ أو فصلٌ بينهما وبين متعلقاتها بحيث يضطرب المعنىٰ[2]، ورؤية أرسطو هذه هي ما تُسمَّىٰ في البلاغة العربية التعقيد اللفظي، وهو يؤدي إلىٰ خللٍ في اللغة منشؤه عدم صحة التركيب لغويًا ونحويًا.

ولعل عبدالقاهر قد أدرك هذا كله، فنراه يقول في كتابه: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علىٰ قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[3].

ومن ذلك أيضًا ما يراه الدكتور هلال من أنَّ أرسطو لا يحفل بالسجع كثيراً كما حفل بالمطابقة والازدواج، أما عبدالقاهر الجرجاني فقد كان له رأيٌ قريبٌ من هذا، فهو يعد السجع

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث، هلال (٥٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (١١٩، ١٢٠).

(٣) دلائل الإعجاز، الجرجاني (٨١).

والازدواج من الأمور التي تعتمد عليها الخطابة، وإن كان يؤثر الازدواج على التزام السجع إلا ما جاء منه عفواً[1].

ومن ذلك ما نجده عند المؤلف في حديثه عن الابتكار في الأسلوب عند أرسطو، فقد ذكر أنَّ من وسائل ذلك الاستعارة، وذكر بعض الأمثلة التي يعدها أرسطو من الاستعارة، لكنه يستدرك ويشير إلى أنَّ مثل هذه الأمثلة تطلق عليها البلاغة الحديثة اسم التشخيص؛ لأنَّ لها خصائص تتصل بالحالات العاطفية، وبها تتميز عن الاستعارة[2]. ويظنُّ المؤلف أنَّ عبدالقاهر قد أدرك هذا، وفطن إلى شيءٍ منه، وذلك عندما تحدَّث عما ينزل العاقل، ورأى أنه جديرٌ بأن يُفرد له بابٌ خاص[3].

ويتحدث هلال في قضية عمود الشعر عن بعض الأمور التي تُراعى في القصيدة، ومنها المقاربة في التشبيه، ووجوه الحسن فيه، ويشير إلى أنَّ أرسطو يزيد على هذا: التمثيل والتضاد والحركة، وهنا يرى أنَّ عبدالقاهر قد فطن إلى التمثيل خاصة، وأفاد منه في حديثه عن التشبيه[4].

ومن الآراء التي أفاد عبدالقاهر من أرسطو فيها ما يذكره الدكتور هلال في حديثه عن قضية اللفظ والمعنى، فقد أورد كلاماً لعبدالقاهر يقول فيه: «إذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك، وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنت طلبت المعنى فحصلته احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة، وذلك محال»[5].

---

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث، هلال (١١٩)، وانظر: أسرار البلاغة، الجرجاني (٨-١٤).

(٢) انظر: النقد الأدبي الحديث، هلال (١٢٧).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) انظر: المرجع السابق (١٧٠).

(٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني (٤٩).

ويعلق الدكتور هلال على هذا الكلام الذي يرى فيه تقاطعاً مع ما ذكره أرسطو فيقول: «وهنا يمسُّ عبدالقاهر مسألةً جوهريةً أشار إليها أرسطو، هي أنَّ عملية النطق مستلزمة ضرورة للتفكير، ويسلم العلم الحديث بأنَّ التفكير إنما يكون بألفاظ، حتى حين يفكر المرء عن صمت في ذات نفسه، واللغة هي وسيلتنا للوعي بما حولنا والتعبير عنه»(١).

وآخر هذه الآراء ما يقوله المؤلف بعد أن بين اهتمام عبدالقاهر بالجمل وإهماله للألفاظ: «وينتج من هذا أنَّ العبرة بالجملة لا بالكلمة المفردة، فالفائدة مختصةٌ بالجملة، ولم تجز حصولها بالكلمة الواحدة كالاسم الواحد، والفعل من غير اسم يضم إليه... وهنا يلتقي عبدالقاهر مع أرسطو، إذ الكلام عند أرسطو يمثل في الجمل لا في الكلمات»(٢).

***

خاتمة

سعت هذه الدراسة إلى بيان بعض الجهود البلاغية التي قام بها إمام البلاغة العربية عبدالقاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وحاولت أن تنقِّب في كتب أهم النقاد المعاصرين عن آرائهم المتناثرة في هذه الجهود، فاختارت ثلاثة منهم، وعمدت إلى عرض مواقفهم عرضاً مفصلاً، ووقفت عندها دراسةً تقويما، ولعل أبرز النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة ما يلي:

١ - كان لعبدالقاهر جهودٌ عظيمةٌ في البلاغة والنقد لا يمكن أن تنكر، ومن الظلم اختزال جهوده في ابتكار نظرية النظم، فهذه النظرية وإن كانت هي أهم وأبرز هذه الجهود إلا أنها إحدى

(١) النقد الأدبي الحديث، هلال (٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (٢٧٤).

الجهود الكثيرة التي بذلها الإمام في الدرس البلاغي والنقدي.

٢ – كان من الطبعي أن تتوجه المؤلفات النقدية المعاصرة إلىٰ ما بذله عبدالقاهر من جهود كبيرة في البلاغة والنقد، ولهذا لم يخلُ كتاب من كتب نقادنا المعاصرين من الإشارة إلىٰ هذه الجهود، علىٰ اختلافٍ وتفاوتٍ في حجم هذه الإشارة، وتنوع في طريقة المعالجة.

٣ – أبان طه حسين عن قدرة عبدالقاهر علىٰ تحقيق التوافق بين الخطابة والشعر، ذلك التوافق الذي هيأه ابن سينا حين جعل كتاب (الخطابة) في متناول الفكر العربي.

٤ – رغم الجهود التي بذلها البلاغيون قبل عبدالقاهر في دراسة المجاز والتشبيه إلا أنَّ طه حسين يقرر أنَّ الإمام تعمَّق في دراستهما تعمُّقًا لم يسبق إليه.

٥ – مع أنَّ طه حسين يحتفي بعبدالقاهر وجهوده البلاغية، ويرىٰ أنه هو الذي رفع قواعد البيان العربي وأحكم بناءه، إلا أنه بالغ في غير موضع في تأكيد شدَّة تأثره بأرسطو وبالثقافة اليونانية، وهي مبالغةٌ غير مقبولة، ولا تدعمها الشواهد والأدلة.

٦ – حاول محمد مندور –في جملة ما طرحه من آراء حول جهود عبدالقاهر– أن يؤكد أصالة تراثنا العربي، وأسبقيته في التوصل إلىٰ أسسٍ كثير من المناهج الغربية الحديثة، فقد صرَّح بأنَّ مذهب عبدالقاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا في العصر الحديث.

٧ – أولىٰ مندور عنايةً خاصةً بالمنهج الذي اهتدىٰ من خلاله عبدالقاهر إلىٰ نظرية النظم، وهو منهج النقد اللغوي الذي يتجاوز الصحة اللغوية إلىٰ الجودة الفنية وتحكيم الذوق.

٨ – يعد الدكتور هلال من أكثر النقاد المعاصرين الذين توقفوا عند جهود عبدالقاهر، فقد أبان عن رأيه في العديد من القضايا التي قرَّرها الإمام.

٩ – يرىٰ هلال أنَّ عبدالقاهر لم يقر من رجحوا المعنىٰ علىٰ اللفظ، بل كان من أنصار الصياغة من حيث دلالتها علىٰ جلاء الصورة الأدبية، إذ سعىٰ إلىٰ ربط الألفاظ بدلالاتها في السياق من حيث تكوين هذه الصورة.

١٠ – حرص هلال علىٰ بيان موقف عبدالقاهر من قضية الصدق والكذب في النص الأدبي، وأشار إلىٰ أنه كان يميل إلىٰ مذهب الصدق الذي لا يتنافى مع المبالغة والإغراق، وإذا كان المؤلف مال إلىٰ هذا الرأي فقد بدا أنه كان مبالغًا في تطبيقه علىٰ النصوص.

١١ – يرىٰ هلال أنَّ عبدالقاهر يقف في تقويم الصورة الأدبية عند حدود الجمال المحض دون قصد شرف المعنىٰ ذاته.

١٢ – حاول هلال أن يكشف عن الوشائج التي تربط عبدالقاهر بأرسطو، وإن كان يظهر من هذه الوشائج نوعٌ من المبالغة والتكلف إلا أنه كان أحسن حالاً من طه حسين الذي جعل أرسطو معلم العرب الأول في علم البيان!

التوصيات:

هذا، ومن أبرز التوصيات التي يمكن تدوينها في خاتمة هذه الدراسة:

– ضرورة الاهتمام بآراء النقاد في الجهود التي قدَّمها عبدالقاهر الجرجاني في مجال البلاغة والنقد، فمن شأن ذلك أن يفتح مزيداً من الآفاق حول هذه الجهود.

– توصي الدراسة بأهمية مراجعة حجم التأثر الذي أفاده النقد العربي من اليوناني، وعدم الانجراف وراء من يبالغ في هذا التأثر.

– ومن التوصيات دراسة قيمة النظريات النقدية العربية، والكشف عن تأثيرها في المناهج النقدية الغربية.

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) أسرار البلاغة، الجرجاني، عبدالقاهر، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني: القاهرة وجدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

(٢) أسرار البلاغة، الجرجاني، عبدالقاهر، نقله من العربية إلىٰ الألمانية وعلق عليه: هلموت ريتر، النشرات الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٩هـ.

(٣) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، اليماني، عبدالباقي، تحقيق: عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

(٤) الأعلام، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

(٥) الأمالي، القالي، أبو علي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤هـ.

(٦) إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة، القفطي، أبو الحسن، تَحقيق: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٧) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، التلب، إبراهيم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٧هـ.

(٨) البرهان في وجوه البيان، عبدالقادر، علي حسن، بحث منشور في مجلة الرسالة، العدد ١٠٨، ١٩٤٨م.

(٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسىٰ الحلبي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٤هـ.

(١٠) البلاغة تطور وتاريخ، ضيف، شوقي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، (د.ت).

(١١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزأبادي، مجد الدين، تحقيق: محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

(١٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتىٰ القرن الثامن، عباس، إحسان، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

(١٣) خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، ابن حجة، دراسة وتَحقيق: كوكب دياب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

(١٤) دراسات بلاغية، فيود، بسيوني، مؤسسة المختار: القاهرة، دار المعالم الثقافية: الأحساء، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

(١٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبدالقاهر، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

(١٦) دمية القصر وعُصْرة أهل العَصْر، الباخرزي، علي بن الحسن، تَحقيق ودراسة: د. مُحمَّد التونجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

(١٧) ديوان إبراهيم بن العباس الصولي، ضمن كتاب: الطرائف الأدبية، صححه وخرجه: عبدالعزيز الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ١٩٣٧م.

(١٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد، تَحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

(١٩) شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، الحنبلي، ابن العماد، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٩هـ.

(٢٠) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، أحمد، تحقيق: مصطفىٰ الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، (د.ط)، ١٣٨٢هـ.

(٢١) طبقات الشافعية الكبرىٰ، السبكي، بهاء الدين، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

(٢٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيىٰ بن حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٠هـ.

(٢٣) عبدالقاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، مطلوب، أحمد، وكالة المطبوعات للنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٣هـ.

(٢٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، ابن رشيق، تَحقيق: مُحمَّد مُحيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

(٢٥) عيار الشعر، العلوي، ابن طباطبا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٢هـ.

(٢٦) غرر الفوائد ودرر القلائد: أمالي الشريف المرتضىٰ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٣هـ.

(٢٧) الفاضل، المبرد، محمد بن يزيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

(٢٨) فوات الوفيات، الكتبي، محمد بن شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٢٩) محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير، فردينان، تعريب: صالح الفرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د.ط)، ١٩٨٥م.

(٣٠) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، المكي، عبدالله اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٣هـ.

(٣١) معجم الأدباء، الحموي، ياقوت، تَحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٣م.

(٣٢) معجم البلدان، الحموي، ياقوت، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

(٣٣) معجم المؤلفين، كحالة، عمر رضا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٣٤) مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، الصميلي، حمود محمد، نادي جازان الأدبي، جازان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

(٣٥) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (شرح الشواهد الكبرىٰ)، العيني، بدر الدين، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

(٣٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بن تغري بردي، يوسف، المؤسسة المصرية العامة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

(٣٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، عبدالرحمن، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

(٣٨) النقد الأدبي الحديث، هلال، محمد غنيمي، دار الثقافة ودار العودة: بيروت، (د.ط)، ١٩٧٣م.

(٣٩) نقد الشعر، ابن جعفر، قدامة، تَحقيق وتعليق: د. مُحمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٤٠) النقد المنهجي عند العرب، مندور، محمد، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٦م.

(٤١) نقد النثر، منسوب إلىٰ ابن جعفر، قدامة، تقديم: طه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٢هـ.

(٤٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، فخر الدين، تحقيق: أحمد السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٩م.

(٤٣) هدية العارفين، البغدادي، إسماعيل بن باشا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤١٣هـ.

(٤٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، عبدالملك بن محمد، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

* * *

List of Sources and References

(1) Asrar Al-Balaghah, (The Secrets of Rhetoric), Al-Jurjani, Abdul Qahir, Edition: Mahmoud Shakir, Dar Al-Madani: Cairo and Jeddah, Is ted., 1412H.

(2) Asrar Al-Balaghah, (The Secrets of Rhetoric), Al-Jurjani, Abdul Qahir, Translated into German and Commented on by Halmot Ritter, Islamic Publications, 1st Ed., 1379H.

(3) Isharat At-Ta'ayeen Fi Tarajim An-Nuhat Wal-Lughawiyeen, (Biographies of Grammarians and Linguists), Al-Yamani, Abdul Baqi, Edition: Abdul Majid Diyab, King Faisal Centre for Islamic Studies and Research, Riyadh, 1st Ed., 1406H.

(4) Al-Aa'lam, Az-Zarkali, Khairid-Din, Dar Al-Ilm Lil Malayeen, Beirut, 5th Ed., 1980.

(5) Al-Amali, Al-Qali, Abu Ali, Organised By: Muhammad Abdul-Jawad Al-Asma'ie, Dar Al-Kutub Al-Masriah, 2nd Ed., 1344H.

(6) Inbah Ar-Ruwah Ala Anbah An-Nuhat, Al-Qafti, Abul Hasan, Edited by: Muhammad Abdul Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, The Foundation of Cultural Books, Beirut, (n,d), (n,d).

(7) Al-Badee' Bayn Al-Mutaqaddimeen Wal-Muta'akhireen, At-Talb, Ibrahim, The Azhariyyah Library for Culture, Cairo, (n,d), 1427H.

(8) Al-Burhan Fi Wujooh Al-Bayan, Abdul Qadir, Ali Hasan, Published research in the Risalah Journal, no. 108, 1948.

(9) Bughyat Al-Wu'aat Fi Tabaqat Al-Lughawiyyeen Wan-Nuhat, As-Suyooti, Jalal Ed-Din, Edited by: Muhammad Abul Fadl Ibrahim, Isa Al-Halabi's Printing Corporation, 1st ed., 1384.

(10) Al-Balaghah Tatawwur wa Tareekh, (The History and Advancement of Rhetoric), Dhayf, Shauqi, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 8th ed., (n,d).

(11) Al-Balghah Fi Tarajim A'immat An-Nahuw Wal-Lughah, Al-Fairuz Abadi, Majd Ed-Din, Edited by: Muhammad Al-Masri, Dar Saad Ed-Din, Damascus, 1st ed., 1421H.

(12) Tareekh An-Naqd Al-Arabi Indal-Arab: Naqd Ash-Shi'ir Minal-Qarn Ath-Thani Hatta Al-Qarn Ath-Thamin, (The History of Arabic Literary Criticism: Poetry Criticism From the Second to the Eighth Centuries), Abbas, Ihsan, Dar Ath-Thaqafah, Beirut, 4th ed., 1404H.

(13) Khazanat Al-Adab wa Ghayat Al-Arab, Al-Hamawy, Ibn Hajjah, Edited and studied by: Kawkab Diyab, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1421H.

(14) Dirasat Balaghiyyah, (Studies on Rhetoric), Fiyoud, Baysouni, The Mukhtar Foundation, Cairo, Dar Al-Ma'alim Ath-Thaqafiyyah: Ahsa, 1st ed., 1419H.

(15) Dala'il Al-I'jaz, (Signs of Miracles), Al-Jurjani, Abdul Qahir, Edited by: Mahmoud Shakir, Al-Khanji Library, Cairo, 2nd ed., 1410H.

(16) Dumyat Al-Qasr wa Usrat Ahl Misr, Al-Bakharzi, Ali Bin Al-Hasan, Edited and studied by: Dr Muhammad At-Toonji, Dar Al-Jeel, Beirut, 1st ed., 1414H.

(17) Diwan Ibrahim Bin Al-Abbas As-Souli, Within: At-Tara'if Al-Adabiyyah, Correction: Abdul Aziz Ar-Rajkouni, The Committee of Authorship, Translation, and Publication Press, Cairo, (n,d), 1937.
(18) Siyar A'alam An-Nubala', Ath-Thahabi, Muhammad Ibn Ahmad, Edited by: Shuaib Al-Arna'oot and others, The Risalah Foundation, Beirut, 9th ed., 1413H.
(19) Shatharat Ath-Thahab fi Akhbar Man Thahab, Al-Hanbali, Ibn Al-Amad, Dar Al-Fikr, Amman, 1st ed., 1399H.
(20) As-Sahibi fi Fiqh Al-Lughah, (As-Sahibi in Linguistic Jurisprudence), Ibn Faris, Ahmad, Edited by: Mustafa Ash-Shuwaimi, The Badran Foundation, Beirut, (n,d), 1382H.
(21) Tabaqat Ash-Shafi'iyyah Al-Kubra, As-Sabki, Baha' Ed-Din, Edited by: Mahmood At-Tenaji and Abdul Fattah Al-Hilow, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyyah, Cairo, (n,d), (n,d).
(22) At-Tiraz Al-Mutadammin li Asrar Al-Balaghah wa Uloom Haqa'iq Al-I'jaz, (The Pattern in the Sercrets of Rhetoric and the Science of Miracles), Al-Alawi, Yahya Bin Hamza, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (n,d), 1400H.
(23) Abdul Qahir Al-Jurjani: Balaghatuh wa Naqduh, (Abdul Qahir Al-Jurjani: His Rhetoric and Criticism), Matloob, Ahmad, The Pulications Agency, Beirut, 1st ed., 1393H.
(24) Al-Umdah fi Mahasin Ash-Shi'ir wa Adabih wa Naqdih, (The Governate in the Beauty of Poetry, its Etiquette and Criticism), Al-Qayrawani, Ibn Rashid, Edited by: Muhammad Muhyi Ed-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, Beirut, 5th ed., 1401H.
(25) Iyar Ash-Shi'ir, (The Calibre of Poetry), Al-Alawi, Ibn Tabataba: Revised by: Naeem Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1402H.
(26) Gharar Al-Fawa'id wa Durar Al-Qala'id: Amali Ash-Sharif Al-Murtada, Revised by: Muhammad Abul Fadl Ibrahim, Dar Ihya Al-Kutib Al-Arabiyyah, Cairo, 1st ed., 1373H.
(27) Al-Fadhil, Al-Mubarrad, Muhammad Ibn Yazeed, Dar Al-Kutub Al-Masriyyah, Cairo, 3rd ed., 1421H.
(28) Fawat Al-Wafiyyat, Al-Kanabi, Muhammad Ibn Shakir, Revised by: Ihsan Abbas, dar Sadir, Beirut, (n,d), (n,d).
(29) Muhadarat Fil-Alsaniyyah Al-Ammah, De Susuir, Ferdinand, Arabisation: Saleh Al-Farmadi and others, Ad-Dar Al-Arabiyyah Lil Kitab, Libya, (n,d), 1985.
(30) Mir'at Al-Jinan wa Ibrat Al-Yaqthan fi Ma'rifat ma Yu'tabar Min Hawadith Az-Zaman, Al-Makki, Abdullah Al-Yafi'ie, Dar Al-Kitab Al-Islami, 2nd ed., Cairo, (n,d), 1413H.
(31) Mu'jam Al-Udaba', (The Literary Dictionary), Al-Hamawi, Yaqoot, Revised by: Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1st ed., 1993.
(32) Mu'jam Al-Buldan, (The Dictionary of Countries), Al-Hamawi, Yaqoot, Dar Sadir, Beirut, 2nd ed., 1995.
(33) Mu'jam Al-Mu'allifeen, (The Dictionary of Authors), Kahalah, Umar Ridha, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, (n,d), (n,d).

(34) Mafhoum As-Sidq Fin-Naqd Al-Arabi Al-Qadeem, (The Concept of Truth in Old Arabic Criticism), As-Sumaili, Humood Muhammad, Nadi Jazan Al-Adabi, Jazan, 1st ed., 1422H.
(35) Al-Maqasid An-Nahawiyyah fi Sharh Shawahid Shurooh Al-Alfiyyah (Sharh Ash-Shawahid Al-Kubra), Al-Ayni, Badr Ed-Din, Revised by: Ali Muhammad Fakhir and others, Darussalam for Printing, Publication, and Distribution, Cairo, 1st ed., 1431H.
(36) An-Nujoom Az-Zaahirah fi Mulook Misr Wal-Qaahirah, (The Bringht Stars in the Kings of Egypt and Cairo), Bin Taghzi Burdi, Yusuf, General Egyptian Foundation, Egypt, (n,d), (n,d).
(37) Nuzhat Al-Alba' fi Tabaqat Al-Udaba', Ibn Al-Anbari, Abdur Rahman, Revised by: Ibrahim As-Samrani, Al-Manar Library, Jordan, 3rd ed., 1405H.
(38) An-Naqd Al-Adabi Al-Hadith, (Modern Literary Criticism), Hilal, Muhammad Ghunaimi, Dar Ath-Thaqafah wa Dar Al-Oudah: Beirut, (n,d), 1973.
(39) Naqd Ash-Shi'ir, (Poetry Criticism), Ibn Jaafar, Qudamah, Revision and commentary: Dr Muhammad Abdul Mun'im Khafaji, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (n,d).
(40) An-Naqd Al-Manhaji Indal-Arab, (Methodical Criticism Amongst the Arabs), Mandoor, Muhammad, Nahdat Misr for Publication and Distribution, Cairo, (n,d), 1996.
(41) Nqd An-Nathr, (Criticism of Written Prose), Attributed to Ibn Jaafar, Qudamah, Introduction: Taha Hussain, Dar Al-Kutib Al-Ilmiyyah, Beirut, (n,d), 1402H.
(42) Nihayat Al-Injaz fi Dirayat Al-I'ijaz, (The Summary in the Knowledge of Miracles), Ar-Razi, Fakhruddin, Revision: Ahmad As-Saqqa, Al-Maktab Ath-Thaqafi for Publication and Distribution, Egypt, 1st ed., 1989.
(43) Hadiyyat Al-Aarifeen, Al-Baghdadi, Ismaeel Bin Basha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (n,d), 1413H.
(44) Yateemat Ad-Dahr fi Mahasin Ahl Al-Asr, Ath-Thaalabi, Abdul Malik Bin Muhammad, Revision: Muhammad Muhyi Ed-Din Abdul Hamid, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd ed., 1392H.

❋ ❋ ❋